

## 220580 - مجاهدة النفس على ترك المعاصي والأخلاق السيئة

### السؤال

أجاهد نفسي حتى أمنعها عن الحقد، أغلبها (نفسية) وتغلبني، فهل أثناب على هذه المجاهدة، أم أكون حقودا؟

### الإجابة المفصلة

أولا:

الإنسان كائن ضعيف، يتعرض لنوازع الخير والشر، وقد يضعف وينساق إلى طريق الرذيلة والانحراف، ويدفعه الشر إلى طريق الظلم والتعدي، ويزين له الشيطان فعل المنكرات. لكن عنصر الخير يحرك فيه ضميره، ويُشعره بالندم، ويحثه على الرجوع إلى الحق، والاستجابة لنداء العقل.

وتختلف قدرات الناس، وقوة إرادتهم، وصفاء نفوسهم، وشفافية أرواحهم، فمنهم من يروض نفسه على السير على طريق الفضائل والمكرمات، ويربّيها على المبادئ والأخلاق، ويقاوم الشهوات، والميول المنحرفة، ويلزم نفسه بالاستقامة والإنصاف، فهذا يستطيع أن يواجه الشر، ويحتمل في سبيل ذلك كل أمر عسير، ولا يفقد الأمل بتغلب الخير، واندحار الشر، وزواله.

ومنهم من ينساق وراء الشهوات، ويعجز عن إلزام نفسه بالفضائل، ويتخلى عن كثير من أوامر الله ورسوله، ويضعف أمام المواجهة، ويفقد الأمل في تغلب الخير. والسرّ في المسألة كلها أن يُجاهد العبد هواه، ونفسه الأمارّة بالسوء، لينال الهداية من الله، قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [العنكبوت: 69].

وروى الإمام أحمد (23958)، وابن حبان (4862) وغيرهما، عن فضالة بن عبيد، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنْ أَمَنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِيهِ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ).

وصححه الترمذي والحاكم، وكذا صححه الألباني في "الصحيحة" (549). قال ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" (6/3).

” كَانَ جِهَادُ النَّفْسِ مُقَدِّمًا عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ فِي الْحَارِجِ ،  
وَأَضْلَا لَهُ ، فَإِنَّهُ مَا لَمْ يُجَاهِدْ نَفْسَهُ أَوْلًا ، لَتَفْعَلَ مَا  
أَمَرَتْ بِهِ ، وَتَتْرَكَ مَا نُهِيتَ عَنْهُ ، وَيُحَارِبُهَا فِي اللَّهِ :  
لَمْ يُمْكِنَتْهُ جِهَادُ عَدُوِّهِ فِي الْحَارِجِ ؛ فَكَيْفَ يُمْكِنَتْهُ جِهَادُ  
عَدُوِّهِ ، وَالْإِنْتِصَافُ مِنْهُ : وَعَدُوُّهُ الَّذِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ  
قَاهِرٌ لَهُ ، مُتَسَلِّطٌ عَلَيْهِ ، لَمْ يُجَاهِدْهُ ، وَلَمْ يُحَارِبْهُ فِي  
اللَّهِ ؛ بَلْ لَا يُمْكِنَتْهُ الْخُرُوجُ إِلَى عَدُوِّهِ ، حَتَّى يُجَاهِدَ  
نَفْسَهُ عَلَى الْخُرُوجِ ” انتهى .

والحاصل : أن المسلم إذا جاهد نفسه على تجنب المعاصي وفعل الطاعات ممتثلاً لأمر الله  
تعالى ونهيه فإنه يثاب على ذلك -إن شاء الله- بقدر ما جاهد نفسه في الله.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :  
” أَيُّهَا أَوْلَى مُعَالَجَةً مَا يَكْرَهُ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ مِثْلُ .  
الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ وَالْعِلِّ وَالْكِبْرِ وَالرِّيَاءِ وَالشَّمْعَةِ  
وَرُؤْيَا الْأَعْمَالِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ . وَعَیْرَ ذَلِكَ . مِمَّا يَحْتَضُّ  
بِالْقَلْبِ مِنْ دَرَنِهِ وَحُبْنِهِ؟ أَوْ الْإِسْتِعْجَالُ بِالْأَعْمَالِ  
الظَّاهِرَةِ: مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَأَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ: مَنْ  
النَّوَافِلِ وَالْمُنْدُورَاتِ مَعَ وُجُودِ تِلْكَ الْأُمُورِ فِي قَلْبِهِ؟  
أَفْتُونَا مَا جُورِيْنَ. ” ؟  
فَأَجَابَ - رَحِمَهُ اللَّهُ :-

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، مِنْ ذَلِكَ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَاجِبٌ : وَأَنَّ لِلْأَوْجِبِ  
فَضْلًا وَزِيَادَةً . كَمَا قَالَ تَعَالَى فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْهُ رَسُولُهُ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ  
مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ﴾ . ثُمَّ قَالَ ﴿ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ  
بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ﴾ .

وَالْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ لَا تَكُونُ صَالِحَةً مَقْبُولَةً إِلَّا بِتَوْشِيحِ  
عَمَلِ الْقَلْبِ ، فَإِنَّ الْقَلْبَ مَلِكٌ وَالْأَعْضَاءُ جُنُودُهُ ؛ فَإِذَا  
حَبَّتْ الْمَلِكُ حَبَّتَتْ جُنُودُهُ ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ  
الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ﴾ .  
وَكَذَلِكَ أَعْمَالُ الْقَلْبِ لَا بُدَّ أَنْ تُؤَثِّرَ فِي عَمَلِ الْجَسَدِ ،

وَإِذَا كَانَ الْمَقْدَمُ هُوَ الْأَوْجِبُ، سَوَاءٌ سُمِّيَ بَاطِنًا أَوْ ظَاهِرًا؛ فَقَدْ يَكُونُ مَا يُسَمَّى بَاطِنًا أَوْجِبٌ، مِثْلُ تَرْكِ الْحَسَدِ وَالْكَبْرِ؛ فَإِنَّهُ أَوْجِبَ عَلَيْهِ مِنْ تَوَافِلِ الصِّيَامِ .

وَقَدْ يَكُونُ مِمَّا سُمِّيَ ظَاهِرًا أَفْضَلُ: مِثْلُ قِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ مُجَرَّدِ تَرْكِ بَعْضِ الْخَوَاطِرِ الَّتِي تَخْطُرُ فِي الْقَلْبِ، مِنْ جِنْسِ الْعِظْبَةِ وَنَحْوِهَا .

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ عَمَلِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ يُعِينُ الْأَخْرَ، وَالصَّلَاةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَتُورِثُ الْخُشُوعَ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْأَثَارِ الْعَظِيمَةِ: هِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، وَالصَّدَقَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. " انتهى، من "مجموع الفتاوى" (381-11/382) .

وينظر للفائدة: جواب السؤال رقم: (21673)

ثانيا :

جاء في "الموسوعة الفقهية" (18/5) وما بعدها :  
" الْحِفْدُ مِنْ مَعَانِيهِ: الضَّعْفُ وَالْإِنْطِوَاءُ عَلَى الْبَغْضَاءِ، وَإِمْسَاكُ الْعَدَاوَةِ فِي الْقَلْبِ، وَالتَّرَبُّصُ لِفُرْصَتِهَا، أَوْ سُوءُ الظَّنِّ فِي الْقَلْبِ عَلَى الْخَلَائِقِ لِأَجْلِ الْعَدَاوَةِ، أَوْ طَلَبُ الْإِنْتِقَامِ. وَتَحْقِيقُ مَعْنَاهُ: أَنَّ الْعَضْبَ إِذَا لَزِمَ كَظْمُهُ لِعَجْزٍ عَنِ التَّشْفِي فِي الْحَالِ رَجَعَ إِلَى الْبَاطِنِ وَاحْتَقَنَ فِيهِ فَصَارَ حِفْدًا..

يَخْتَلِفُ حُكْمُ الْحِفْدِ بِحَسَبِ بَاعِثِهِ، فَإِنْ كَانَ لِحَسَدٍ وَضَعِنٍ دُونَ حَقٍّ: فَهُوَ مَذْمُومٌ شَرَعًا، لِأَنَّهُ يُثَبِّرُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ وَالْإِضْرَارَ بِالنَّاسِ لِغَيْرِ مَا ذَنْبٍ جَنَوَهُ.

وَقَدْ وَرَدَ ذَمُّهُ فِي الشَّرْعِ، فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي ذَمِّ الْمُتَافِقِينَ الَّذِينَ سَاءَ هُمُ اثْتِلَافُ الْمُؤْمِنِينَ وَاجْتِمَاعُ كَلِمَتِهِمْ بِحَيْثُ أَصْبَحَ أَعْدَاؤُهُمْ عَاجِزِينَ عَنِ التَّشْفِي مِنْهُمْ: ﴿وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا عَصَا عَلَيْنَا﴾

الأنامل من العيظ... ..

وَمِمَّا يَذْهَبُ الْحِفْدُ الْإِهْدَاءُ وَالْمُصَافَحَةُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدْيَةَ تُذْهِبُ  
وَحَرَ الصَّدْرِ. وَفِي رَوَايَةٍ: تَهَادَوْا تَحَابُّوا .  
أَمَّا إِنْ كَانَ الْحَفْدُ عَلَى ظَالِمٍ لَا يُمَكِّنُ دَفْعَ ظُلْمِهِ ، أَوْ  
اسْتِيفَاءَ الْحَقِّ مِنْهُ، أَوْ عَلَى كَافِرٍ يُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ وَلَا  
يُمْكِنُهُمْ دَفْعُ أَذَاهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مَذْمُومٍ شَرَعًا، ثُمَّ إِذَا  
تَمَكَّنَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ، فَإِمَّا أَنْ يَغْفُوَ عَنْهُ فَذَلِكَ مِنَ  
الْإِحْسَانِ ... وَإِمَّا أَنْ يَأْخُذَ حَقَّهُ مِنْهُ ، فَلَا حَرَجَ فِيهِ  
لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ ائْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا  
عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾.  
.. انتهى ، مختصرا .

وقد تقدم الكلام على الحقد وزمه وعلاجه في جواب السؤال رقم:(225700).